

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[375] اللحظة – قد غمر قلوبهم الإيمان، وأضرهم عشق الأ؛ بحيث لم يهزّهم تهديد فرعون، فأجابوه بصرس قاطع واحبطوا خطته و (قالوا لا ضير لنا إلى ربنا منقلبون). فأنت بهذا العمل لا تنقص منّا شيئاً، بل توصلنا إلى معشوقنا الحقيقي والمعبود الواقعي، فيوم كانت هذا التهديدات تؤثر فينا لم نعرف أنفسنا ولم نعرف ربنا، وكذا، ضالين مضلين، إلا أنّا عثرنا اليوم على ضالتنا (فاقص ما أنت قاص) ! ثمّ أضافوا بأنهم واجهوا النّبي موسى (عليه السلام) من قبل بالتكذيب وأذنبوا كثيراً، ولكن مع ذلك فـ (إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أوّل المؤمنين)... إننا لا نستوحش اليوم من أي شيء، لا من تهديداتك، ولا من تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ولا من الصلب على جذوع النخل. وإذا كنّا نخاف من شيء، فإنّنا نخاف من ذنوبنا الماضية، ونرجوا أن تمحى في ظل الإيمان وبفضل الأ ولطّفه! أية طاقة وقوّة هذه التي إن وجدت في الإنسان صغرت عندها أعظم القوى، وهانت عنده أشد الأمور، وكرمت نفسه بسخاء في موقف التضحية والإيثارة! إنّها قوّة الإيمان. إنّها شعلة العشق النيرة، التي تجعل الشهادة في سبيل الأ أحلى من الشهد والعسل، وتصيّر الوصال إلى المحبوب أسمى الأهداف! هذه هي القوّة التي استعان بها النّبي (صلى الأ عليه وآله وسلم) وربّى المسلمين الأوائل عليها، وأوصل أمة جهلاء متأخرة إلى أوج الفخر بسرعة مذهلة، فكانت الأمة المسلمة التي اذهلت الدنيا! إلا أن هذا المشهد – على كل حال – كان غالباً وصعباً على فرعون وقومه، بالرغم من أنّهم طبقّ تهديداته – طبقاً لبعض الروايات – فاستشهد على يديه السحرة المؤمنون – إلا أن ذلك لم يطفء عواطف الناس تجاه موسى فحسب، بل أثارها